

الشرق الأوسط... صراعات لا تنتهي

عمرو حمزاوي عمرو حمزاوي

يتم تغيب العقل بتجاهل أن مواجهة الإرهاب عسكرياً فقط ستفشل وأن الأولوية تظل للانتصار لحقوق المقهورين.

تندفع قوى كبرى وإقليمية تتجاهل الأدوات السياسية لمواجهة صراعات الشرق الأوسط إلى لحظة خطأً مأساوي جديد.

تسوم السلطويات الناس قهراً وظلماً وانتهاكات الحقوق والحربيات بيد أجهزة أمنية يفرض عليها كوظيفة رئيسية حماية الحكام وليس الأوطان والشعوب.

* * *

تبعد مسارات الصراع في الشرق الأوسط باللغة الكثافة والتعقيد، وتتسع دوائرها لتغرق العديد من الأطراف الدولية والإقليمية، وتنصاعد بانتظام المخاطر التي تواجهنا بها نحن شعوب هذه المنطقة الذين نحرم عملياً من الحق في الحياة وكذلك المخاطر التي تفرضها على السلم والأمن العالميين.

في جعبة الشرق الأوسط، أولاً، حرب ذات امتداد عالمي على الإرهاب تشارك بها قوى ذات مصالح يتناقض بعضها وقوى إقليمية تتبدل أولوياتها وسياساتها بعنف، وفي المواجهة داعش وعصابات إرهاب أخرى تتجاوز وحشيتها ودمويتها ما تراكم عربياً من فظائع وجرائم وخرائط دماء وتعتاش على بنية نظر ديني لم تتغير خلال الأعوام الماضية وحقائق استبداد وظلم وتهميشه تشتد وطأتها في بلاد العرب على نحو يومي.

نحن، ثانياً، في معية حرب دموية في سوريا بين دكتاتور مجرم وبين معارضين بعضهم لا يقل إجراماً، والكثير من عناصر المال والسلاح والبشر الموظفة في الحرب تدفعها إما صراعات بالوكالة بين القوى الكبرى والقوى الإقليمية أو تدخلات عسكرية مباشرة لبعض هذه القوى.

لدينا، ثالثاً، خرائط دماء متباينة، تتدخل بمساحتها تنوعات مقيمة من الاستبداد والطائفية والمذهبية والقبلية والاحتلال الأهلي وغياب السلم المجتمعي والتکالب على السلطة وانهيار مؤسسات الدولة الوطنية والحروب بالوكالة بين القوى الإقليمية مع جرائم الإرهاب بين في العراق واليمن

وليبها .

رابعا، ترسوم سلطويات قديمة وجديدة مواطني البلدان العربية سوء عذاب القهر والظلم وانتهاك الحقوق والحربيات، ترتكبها أجهزة أمنية واستخباراتية يفرض عليها كوظيفة رئيسية حماية الحكام وليس حماية أمن الأوطان والشعوب.

بعض تلك السلطويات يتورط في صراعات عنيفة على السلطة تهدد السلم الاجتماعي، كما هو الحال في العراق التي تعاني أيضا من الإرهاب. وبعضاها الآخر كالسودان شهد مواجهات دموية بين الحكم وبين حركات تمثل المناطق المهمشة حتى أطيح بالديكتاتور السابق.

وببعضها الأخير يسود هدوء ظاهري يستند إلى تحسن المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية وترامك الثروة والاستثمار التنموي لبعض مكوناتها، وخلف الهدوء توترات مجتمعية لها مسببات طائفية ومذهبية وقبلية وصراعات مكتومة على السلطة والثروة وتعريف الهوية الوطنية كما هو الحال في الخليج.

تستمر معنا، خامسا، صراعاتنا المستعصية على الحلول التفاوضية والتي تتواتطاً قوى دولية وإقليمية لكي تحيلها إلى خانات التجاهل، وفي مقدمتها الصراع العربي - الإسرائيلي قضية حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني المغتصبة أرضه والذي تعمل الإدارة الأمريكية الحالية على تقدير اغتصاب الأرض من قبل إسرائيل وعلى تصفية القضية الفلسطينية بكافة مكوناتها، ومنها أيضا مسألة تقرير المصير للأكراد أصحاب المظلومية الممتدة تاريخيا، وبها كذلك الصراعات الحدودية بين بعض الأطراف الإقليمية.

ثم، سادسا، وبينما يخلو الشرق الأوسط من منظومة إقليمية قادرة على الإدارة السلمية لمسارات الصراع الكثيرة وتتراجع به بقسوة الأدوار الفعالة لبعض البلدان صاحبة الثقل التاريخي والجغرافي والسكاني والحضاري مثل مصر والعراق وسوريا .

وتختبط بلدان أخرى بين حروب بالوكالة وسياسات خارجية إما عنيفة أو غير مستقرة كالسعودية والإمارات وقطر، تتسع مساحات فعل ونفوذ القوى غير الدولية من حزب الله إلى داعش وتحول تدريجيا إلى تقاسم «السيادة على الأرض» مع الدول الوطنية.

ومع أن بعض مسارات الصراع الراهنة في الشرق الأوسط حضر حين جاءت تداعيات إرهاب أيلول/سبتمبر 2001 بالجيوش الغربية إلى أفغانستان والعراق، إلا أن حقائق شمولية وكثافة وتعقيد المسارات الراهنة تظل غير مسبوقة .

كذلك يصعب التغافل عن كون التوظيف الأحادي للأدوات العسكرية والأمنية في مواجهة الإرهاب خلال السنوات الماضية لم يربت سوى تراجع فاعلية «جيل» من عصابات الإرهاب فقط ليتبعه «جيل» لاحق من الوحشيين والدمويين - من القاعدة إلى داعش، بينما تراكمت أزمات المجتمعات والدول الوطنية من غياب العدل والحق والحرية إلى غياب التنمية.

والليوم، تندفع القوى الكبرى والإقليمية التي تتجاهل الأدوات السياسية لمواجهة صراعات الشرق الأوسط إلى لحظة خطأ مأساوي جديد في منطقتنا وإلى لحظة جديدة من تغييب العقل بتجاهل حقيقة أن مواجهة

الإرهاب العسكري فقط حتماً ستفشل وأن الأولوية تظل للانتصار لحقوق المقهورين وإنجاز تنمية مجتمعية متوازنة عمادها إقرار الحريات والشرع في تحولات ديمقراطية جادة.

* د. عمرو حمزاوي أستاذ العلوم السياسية المساعد، حالياً باحث بجامعة ستانفورد الأمريكية.
المصدر | القدس العربي